مجلة الرائد

العدد : ١٩٧ الموافق في ذو القعدة ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/٣ ميلادي

عنوان المقال : تشخيص أزمة المسلمين الأخلاقية	بقلم : صلاح الدين بن إبراهيم

أولاً : **ما الأخلاق ؟**

يقول الإمام أبو حامد الغزالي : « الخُلق : عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأعمال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية... وإنما قلنا : إنها هيئة راسخة ، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة ، لا يقال : خلقه السخاء ، ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية ، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية ، لا يقال : خلقه السخاء والحلم » [إحياء علوم الدين ٥٢/٣].

ثانياً : **أنواع الأخلاق :**

■ **الأخلاق قسمان ؛ محمودة ومذمومة** : وهي مركوزة في فطرة البشر ، وطريقة التعامل معها تحدد المصير ، يقول الله تعالى : { **ونفس وما سواها ❋ فألهمها فجورها وتقواها ❋ قد أفلح من زكاها ❋ وقد خاب من دساها** } [الشمس:٧-١٠] ، ويقول سبحانه وتعالى : { **فأما من أعطى واتقى ❋ وصدق بالحسنى ❋ فسنيسره لليسرى ❋ وأما من بخل واستغنى ❋ وكذب بالحسنى ❋ فسنيسره للعسرى** } [الليل:٥-١٠].

ويرى الإمام الغزالي أن الأخلاق الحسنة تقوم على أربعة أركان ؛ قوة العقل " الحكمة " وقوة الغضب " الشجاعة " وقوة الشهوة " العفة " وقوة العدل التي تجعل الحكمة والشجاعة والعفة ملتزمة بحدود الشرع والعقل . ويبين أن اعتدال هذه الأركان يثمر حسن الخلق ، وأن اختلالها بإفراط أو تفريط ينتج الأخلاق السيئة ، ويشرح أبو حامد فكرته فيقول :

❋ « **من اعتدال قوة العقل :** يحصل حسن التدبير ، وجودة الذهن ، وثقافة الرأي ، وإصابة الظن ، والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس . **ومن إفراطها** : تصدر الجربزة - الجبز : الخِبُّ من الرجال - والمكر والخداع والدهاء ، **ومن تفريطها** : يصدر البله والغمارة والحمق والجنون... » .

❋ « **وأما خلق الشجاعة :** فيصدر منه الكرم ، والنجدة ، والشهامة ، وكسر النفس ،

والاحتمال ، والحلم ، والثبات ، وكظم الغيظ ، والوقار ، والتودد ، وأمثالها ، وهي أخلاق محمودة . **وأما إفراطها** ، وهو التهور : فيصدر منه الصلف ، والبذخ ، والاستشاطة ، والتكبر ، والعُجب . **وأما تفريطها :** فيصدر منه المهانة ، والذلة ، والجزع والخساسة ، وصغر النفس ، والانقباض عن تناول الحق الواجب » .

❋ « **وأما خلق العفة :** فيصدر عنه السخاء ، والحياء ، والصبر ، والمسامحة ، والقناعة ، والورع ، واللطافة ، والمساعدة ، والظرف ، وقلة الطمع . **وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط :** فيحصل منه الحرص ، والشره ، والوقاحة ، والخبث ، والتبذير ، والتقصير ، والرجاء ، والهتكة ، والمجانة ، والعبث ، والملق ، والحسد ، والشماتة ، والتذلل للأغنياء ، واستحقار الفقراء ، وغير ذلك .

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة ، وهي : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدل ، والباقي فروعها » [إحياء علوم الدين ٥٣/٣].

■ **والأخلاق إما وهبية وإما كسبية** : ونعني بالوهبية ما جبل عليه كل فرد من أخلاق ظاهرة فيه . وبالكسبية ما يحصله المرء نتيجة مجاهدة النفس وحملها على مكارم الأخلاق . يقول الله تعالى : { **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** } ويقول رسول الله ﷺ : « إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتحر الخير يُعطه ، ومن يتق الشر يُوقه » .

وقد أحسن الشاعر الشاعر بقوله :

كم تُظلمون ولستم تشتكون وكم تُستغضبون فلا يبدو لكم غضبُ
ألفتم الهونَ حتى صار عندكمُ طبعاً ، وبعض طباع المرء تكتسبُ

ثالثاً : **أعراض أزمة المسلمين الأخلاقية :**

١- **أزمة في أخلاق التعامل مع رب العالمين** : مثل اضطراب : الخوف - الرجاء - التوكل - الافتقار - الإنابة - الإخلاص...

٢- **أزمة في أخلاق التعامل مع النفس** : مثل اختلال : الحياء - القناعة...

٣- **أزمة في أخلاق التعامل مع الآخرين** : مثل تزلزل : الصدق - الوفاء - العفو - الإحسان - الإنصاف...

٤- **أزمة في أخلاق القوة البانية للحياة** : مثل تشوه : الجدية - التعاون - التضحية - النظام...

رابعاً : **أسباب الأزمة الأخلاقية :**

أ - **التخلف العقيدي** : فقد أسفر التقليد في الإيمان إلى الجهل العملي بأسماء الله الحسنى ، ونلمس هذا في أمور مثل :

❋ ضعف الحياء من الله تعالى... فلا يشعر معظم المسلمين اليوم بالحرج من أن يراهم الله تعالى حيث نهاهم ، أو يفقدهم حيث أمرهم .

❋ الإصرار على المعاصي مع رجاء الرحمة ، وهذا نتيجة طبيعية لإخراج العمل عن مسمى الإيمان .

ونتج عن التخلف العقيدي أزمات أخلاقية خطيرة ، عبرت عن نفسها بسلوك عملي ، ونضرب أمثلة على ذلك :

أولاً : **أزمة مع النفس** : مثل :

❋ سيطرة الجزع وحب الدنيا : { **إن الإنسان خلق هلوعاً ❋ إذا مسه الشر جزوعاً ❋ وإذا مسه الخير منوعاً ❋ إلا المصلين ❋ الذين هم على صلاتهم دائمون ❋ والذين في أموالهم حق معلوم ❋ للسائل والمحروم ❋ والذين يصدقون بيوم الدين ❋ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** ... } [المعارج:١٩-٢٧].

❋ القلق : { **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ❋ ونحشره يوم القيامة أعمى** } .

ثانياً : **أزمة مع الناس** : والأمثلة كثيرة وفيرة ، ونكتفي بالإشارة إلى علاقة الإيمان بالأخلاق الاجتماعية من خلال النصوص النبوية الآتية :

❋ « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خَصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق

حتى يدعها ؛ إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » [متفق عليه].

❋ « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ! لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته ، يفضحه ولو في جوف بيته » [رواه أحمد وأبو داود].

ثالثاً : **أزمة في أخلاق الحياة** : وهذا الجانب من الأخلاق يحتاج إلى توضيح ، فقد تبين لدارسي القيم الأخلاقية من وجهة نظر الإسلام ، أن هناك ضربين من الأخلاق :

الأول : **الأخلاق الإنسانية الأساسية** : مثل : الشجاعة ، والحكمة . وتطبيقاتها : حسن التنظيم ، الجدية ، التعاون ، الإنصاف...

الجانب مشاع لكل الناس ، أي نمكن أن يحصل على نصيب منه المسلم وغير المسلم ، لأنه يدخل في العطاء الرباني : { **كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً** } .

الثاني : **الأخلاق الإسلامية** : وهذه تؤكد على الأخلاق الإنسانية الأساسية التي بدونها لا تقوم الأمم ، وتصحح بواعثها ، وتضيف أخلاقاً خاصة بالمؤمنين ، مثل : التجرد ، الإخلاص ، الصفح...

وسأكتفي بالحديث عن هذين القسمين من الأخلاق الحيوية من خلال :

❋ قول الله تعالى :{ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** } .

❋ وما رواه الإمام مسلم عن المستورد القرشي رضي الله عنه قال عن عمرو بن العاص : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقوم الساعة والروم أكثر الناس.

فقال له عمرو : أبصر ما تقول !!.

قال : أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ !.

قال : لئن قلت ذلك ، إن فيهم لخصالاً أربعاً : إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كرّة بعد فرّة ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف . وخامسة حسنة جميلة : وأمنعهم من

ظلم الملوك » .

ولا شك في أن هذه الأخلاق وأضرابها هي التي لفتت نظر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها إلى عظمة الرسول ﷺ يوم قالت له بعد لقائه الأول بجبريل : كلا والله ما يخزيك الله أبداً : إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

ولا ريب في أن هذه الأخلاق حين تشيع في أمة ، فإنها ترتقي في مقامات عزة الأمم بمقدار ما توفر من أخلاق القوة البانية للحياة ، فإذا كانت مرتكزة إلى عقيدة التوحيد فإن آثار بركتها تتضاعف بإذن الله تعالى . ولا يقتصر عندئذ الإحسان على الإنسان ، بل يتجاوزه إلى الكائنات الأخرى . روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له . قالوا : يارسول الله إن لنا في البهائم أجراً ؟!. فقال : في كل كبد رطبة أجر » .

للموضوع بقية